النميمة الحسنة

من المعلوم أن نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد والتحريش محرم شرعاً؛ فهو النميمة التي ورد الوعيد الشديد على فاعلها؛ لكنّ هناك نقلاً للكلام يستحب إعماله، ويقع عند كثير منا إهماله؛ ألا وهو نقل كلام الناس الحسن بعضهم في بعض؛ وذلك حين تسمع من أحد الناس ثناء صادقاً على أحد أصحابك أو أقاربك، فيحسن بك أن تنقل هذا الثناء؛ فبه يتوثق الحب، ويشتد حبل الود.

وهذه حادثة من السيرة في ذلك وقعت لأعظم رجلين عرفتهما البشرية بعد الأنبياء والمرسلين؛ أبي بكر الصديقِ، وعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنهما فقد جرى بينهما تسابق وتنافس، فعلى أي شيءٍ تسابقا؟

يحدث عمرُ رضي الله عنه عن هذا السباق، فيقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمُر في الأمر من أمر المسلمين عند أبي بكر رضي الله عنه وأنه سمَر عنده ذات ليلة وأنا معه، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا نمشي معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع قراءته، فلما أعيانا أن نعرف من الرجل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من سرَّه أن يقرأ القرآن**

غضّاً كما أنزل فليقرأه على ابن أم عبد» ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: «**سل تعطه**»، قال عمر: فأدلجت(١) إلى عبد الله بن مسعود لأبشره بما قال رسول الله ﷺ، فلما ضربت الباب قال: ما جاء بك هذه الساعة؟ قلت: جئت لأبشرك بما قال رسول الله ﷺ. قال: قد سبقك أبو بكر. قلت: إن يفعل فإنه سبَّاق بالخيرات، ما استبقنا خيراً قط إلا سبقنا إليها أبو بكر)(٢).

فتأمل ـ أيها القارئ الكريم ـ هذا التسابق العجيب من هذين الصحابيين العظيمين في نقل هذا الخبر السعيد لهذا الصحابي، وكيف أنهما بادرا ولم ينتظرا النهار؛ بل هرعا مدلجين في الليل، كلٌّ منهما لا يدري عن صاحبه، وإذا بعمر يُفاجَأ بأن أبا بكر سبقه بالبشرى، فهو السابق الذي لا يجارى، والفارس الذي لا يبارى، فرضي الله عنهما، ما أزكاهما، وأجمل فعالهما!

وما كانا رضي الله عنهما ليبادرا بنقل هذا الخبر السَّار إلا أنهما يعرفان جلالة أثره، وعظيم وقعه في نفس من قيلت فيه وهو ابن مسعود رضي الله عنه.

إن هذه الحادثة لتفيد مشروعية نقل كلام الناس الحسن بعضهم في بعض، وهذا الأمر يسيرٌ فعلُه؛ محمودٌ أثرُه، فهو لا

---

(١) قوله: «فأدلجتُ»؛ أي: بكَّرت بالمجيء إليه.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٥) وإسناده صحيح.

يكلف مالاً، ولا يتطلب جهداً، وإن لم تسعد الحال فليسعد المقال.

فأكرم بذلك الرجل الذي ما إن سمع فيك ثناءً صادقاً إلا وجاءك فرحاً جذلانَ مسروراً يبشرك به!

وما أجمل ذلك الشاب ينقل مشاعر الحب بين والديه وإخوته وأقاربه!

وأكرمْ بطالب علم يشيع عبارات الود والتقدير بين شيوخه بعضهم مع بعض!

وما أحسن ذلك المسؤول يبادر بنقل الثناء الصادق بين موظفيه!

إن النفوس مجبولة على التأثر بالثناء الصادق مهما كانت منزلتها؛ وما أجمل ما فعل ذلك الرجل الذي نقل للإمام أحمد ثناء بِشر بن الحارث عليه، يحدث بذلك عبد الله ابن الإمام أحمد فيقول: «جاء رجل إلى أبي فذكر أنه كان عند بِشر بن الحارث، فذكروه فأثنى عليه بِشر، وقال: لا ينسى الله لأحمد بن حنبل صنيعه، ولولاه لهلكنا، قال عبد الله: ووجه أبي يتهلل. فقلت: يا أبت أليس تكره المدح في الوجه؟ فقال: يا بني إنما ذكرت عند رجل من عباد الله الصالحين، وما كان مني فحَمِدَ صنيعي..»[1].

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٤٥٤).

ومن ذلك ما جاء عن محمد بن أبي بشر، قال: «أتيت أحمد بن حنبل في مسألة، فقال: ائت أبا عبيد؛ فإن له بياناً لا تسمعه من غيره، فأتيته، فشفاني جوابه، فأخبرته بقول أحمد، فقال: ذاك رجلٌ من عُمَّال الله، نشر الله رداء عمله، وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محبباً مألوفاً، ما رأت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصالٌ هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم..»[(١)].

فقد أحسن محمد بن أبي بشر بنقل ثناء الإمام أحمد على الإمام أبي عبيد، وتأمل في أثر هذا الكلام في نفس أبي عبيد!

وإنه ليتأكد نقل الكلام الحسن بين المتخاصمين بعضهم في بعض؛ بل يجوز في مثل هذه الحال الكذب لأجل مصلحة الاجتماع؛ ولو دعت الحاجة في الإصلاح إلى الحلف الكاذب فلا حرج في ذلك[(٢)]. فقد قال النبي ﷺ: «**ليس الكذَّابُ الذي يُصلِح بين النَّاسِ فيقول خيراً أو يَنْمي خَيراً**»[(٣)].

وعلى الضد من ذلك تجد مِنَ الناس مَنْ في نفوسهم دناءة، وفي قلوبهم مرضٌ، لا يحبون أحداً أن يمدح عندهم، فإن مُدح أحدٌ ضاقت صدورهم، فبادروا بالاستثناءات

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٠).
(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب (٤/ ١٩٦٤)، ومجموع الفتاوى (١/ ٥٤) كلاهما لابن باز.
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

والاستدراكات قدحاً في الممدوح، وتقليلاً من شأنه، يفشون المعايب، ويسترون المحاسن على ما قيل:

صمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكرت به   وإن ذُكرت بسوءٍ عندهم أذِنوا
إن يسمعوا سُبَّةً طاروا بها فرحاً   مني وما يسمعوا من صالحٍ دفنوا(١)

وفي هؤلاء يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيبات فلا يلوي عليها... وهكذا كثيرٌ من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوىء، فلا يحفظها، ولا ينقلها، ولا تُناسبه، فإذا رأى سقطةً أو كلمةً عوراء وجد بُغيتهُ وما يُناسبها، فجعلها فاكهته ونقلَه»(٢).

ومما يدخل في ذلك أن يستشار بعضهم عن شخص، ثم لا يذكر من محاسنه شيئاً، وهو يعرفها تمام المعرفة؛ وهذا لؤم ودناءة؛ وقد قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «من سئل عن فضائل صاحبه فكتمها، فهو آثم؛ لأن إخفاء الفضائل كذكر الرذائل»(٣).

اللَّهُمَّ اهدنا للطيب من القول، وسدِّد ألسنتنا.

(١) البيتان لقعنب بن ضمرة، كما في عيون الأخبار (٣/ ٩٦).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٠٦).
(٣) شرح صحيح مسلم، لابن عثيمين (٩/ ٢٣٢).